الكناية المعاصرة
والأساليب الحديثة

قضايا لغوية

(٢)

د محمد رضوان الداية

الكناية المعاصرة والأساليب الحديثة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٧

قضايا لُغويَّة

العـدد (٢)

٢٠١٧م

الكناية المعاصرة والأساليب الحديثة / محمد رضوان الداية.- دمشق: الهيئـة العامـة السورية للكتـاب، ٢٠١٧م.- ٦٨ص؛ ٢٠ سـم. (قضايا لغوية؛ العدد ٢)

١- ٤١٤.٢ د ا ي ك ٢- العنوان ٣- الداية ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

تقديم

فن الكناية قديمٌ في النّصوص الأدبيّة العربيّة، وهو جانب من جوانب أدوات التّصوير في الكلام؛ وهو من وراء ذلك وسيلة من وسائل أَداء المعاني، وتوصيل الأفكار، بين المتكلم والكاتب من جهة، وبين المتلقي قارئًا أو مستمعًا من جهة أُخرى.

ونقرأ في مُعلّقة امرئ القيس (توفي نحو سنة ٨٢ قبل الهجرة ٥٤٠ ميلادية):

وقــد أغتــدي والطــيرُ في وُكُناتِهــا
بِمُنْجَــرِدٍ قَيْــدِ الأَوابِــدِ هَيْكَــلِ

(أغتدي: أَخْرُجُ في الصَّباح. الوكنة وكر الطائر (عشّه)، ومنجرد: حصان (من صفته أنه قليل الشعر: من علامات

عراقته) وقيد الأوابد: يلحق الطرائد وغيرها وكأنه يقيّدها لسرعته، وهيكل: ضخم الجسم).

وعبارة (والطير في وكناتها) من جهة النحو جملة حالية، لكنّ في الكلام كناية، فإنه يقول: إنّه يخرج في الصباح المبكر؛ وكنّى عن شدّة تبكيره بسبق خروج الطيور من أعشاشها.

نلاحظ إذن الفرق بين قوله: خرجت مبكّرًا إلى مقصدي، وقد أدّى المعنى المراد مباشرة، وبين قوله: أغتدي صباحًا قبل أن تطير الطيور من أعشاشها، فقد جاء بالمعنى المطلوب، وزاد عليه هذه الصُّورة الحركية، ونبه القارئ إلى المعنى المراد بطريق غير مباشر، وحسّن اللفظ ولوّن الكلام.

ثم نقرأ في ديوان نزار قباني من قصيدة احتشد فيها عدد من التشبيهات والاستعارات والكنايات: التي أعطت النص الشعري ألقًا خاصًّا، وأسهمت في بيان إشعاع جمال الشعر وحُسْنِ نظمه. وعنوان القصيدة (حبيبي)، يقول فيها:

لا تــسألوني مـــا اســـمه حبيبـــي

أخــشى علــيكم ضَــوْعَةَ الطِّيــوبِ

زِقُّ العبـــــيرِ إن حَطَمْتمُــــــوهُ

غـــــرقْتُم بعـــــاطرٍ سَــــــكُوبِ

واللهِ لـــو بُحْـــتُ بـــأي حَـــرْفٍ

تكـــدّس اللَّيْلَـــكُ في الـــدُّروبِ

فلاحظ الكناية المُسْتفادة من قوله: «أخشى عليكم ضَوْعَةَ[1] الطيوب»، فَذِكْرُ اسمه وحده كفيلٌ بنشر تلك الطُّيوبِ الفوّاحة.. وزاد بكناية أُخرى في قوله:«تكدّسَ اللَّيْلَكُ في الدُّروب»...

وفي العصر الحديث مع كثرة الأدباء والكتاب والشعراء ومع تفاعل الناس مع الجديد الطارئ من معطيات الحَضارة ووسائل العيش وحركة الحياة المعاصرة: ظهرَ في الكلام المنظوم والمَنْثُور: مع كل كاتب وشاعر ومتحدّث، أنماط من فن الكناية يشارك فنون

(١) ضاع العطرُ: فاحت رائحته وانتشرت. والفعل هو: ضاع يضوع.

البيان الأخرى، ويلوّن النتاج المُعاصر، ويلوّن الأساليب في شعر ونثر معًا.

فهذه وقفةٌ عند هذا الجانب: توضح الفكرة وتقدّم النماذج، وتفتح الباب للمتابع أيضًا.

والحمد لله ربّ العالمين

محمد رضوان الداية
دمشق الفيحاء
في أَواخر رمضان المعظم ١٤٣٨هـ
وحزيران ٢٠١٧م

(١)

يَرِدُ الكلام على (الكناية) من جهتين اثنتين:

إحداهما: الوجوه البلاغيّة التي يحملها (فن الكناية)، والتي يرجع إليها المتكلّم، والكاتب والشاعر وغيرهم ليعبر عما يريد من فكرةٍ أو رأيٍ أو موضوعٍ تعبيرًا غيرَ مباشِرٍ لغرض يريدهُ ويتضح من سياق الكلام.

والثانية: خصائص أسلوبية يحملها النصّ (مكتوبًا أو منطوقًا به في خطبةٍ أو محاضرة أو حوار إلى غير ذلك) والعلاقة موصولة بين الجانبين، ويرتكز أحدها على الآخر.

وفنّ الكناية: قديمٌ في حياة اللّغة العربية، ثابتٌ في النُّصوص التي وصلت إلينا من التراث العربي القديم، من العصر الجاهلي وهلم جرّا إلى اليوم. وقد بيّن البلاغيون والنقّاد وجوهَ الكناية في القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف ورصدوا نماذج كثيرة من ألوان الكناية في الأشعار والأمثال والأقوال والخطب

والرّسائل، وتحدثوا عن أثر الكناية في الأسلوب (في النص الأدبي خاصة)، وفصّلوا في أوجه الكناية على الوجه الذي استقرّت عليه عند البلاغيين المتأخّرين (في الزمن) بعد نُضج محاوراتهم ومداراساتهم، وتقليب وجهات النظر الفنية في هذا الفن.

(٢)

نضربُ مثلًا، في هذه البداية، من قصيدةٍ لنزار قباني من عشرة أبيات، عنوانها «يا بيتها»[١]، قال:

أُعطيكَ من أَجَلي وعينيّا ... يا بيتَها في آخر الدُّنيا

أمشي إليكَ وأنت تملؤني ... ويئنُّ بابُكَ بين جَنْبَيّا

يا ضائعًا في الأرض يا نَغَمًا ... في غابة الشّربين مَرْمِيّا[٢]

---

(١) ديوان نزار قباني (الأعمال الشعرية الكاملة: ٢٧٦).
- لحّن نجيب السراج هذه القصيدة وغناها، وسُجّلت في إذاعة دمشق تحت عنوان: (بيت الحبيبة)، وكانت من أوائل ما غُنِّيَ من شعر نزار.

(٢) الشربين من الشجر الذي ينبت في الغابات والغِياض. ويكثر شعره عند الشعراء والزجالين في بلاد الشام.

«نَوّار» مرَّ عليك وانفتحت أزرارُه لا فيـكَ، بـل فِيّـا[1]
بـابٌ تَقَـوّسَ تحـت لَيْلَكـةٍ تَهْمِـي سـماوِيًّا سـماوِيّا[2]
ومَغـالقُ الـشبّاكِ مُـشْرَعَةٌ بِـأَبِي أنـا الـشبّاكُ صَـيْفِيّا[3]
دَرجاتُــه وَهْــمٌ وسُــلَّمُه يمـشي، ولكـنْ فـوق جَفْنَيّـا!
يـا بَيْتَهـا **زوّادتي بيـدي** والشمسُ تَمْسَحُ وَجْهَ وادِيّا[4]
وبـلاد آبـائي مُغَمَّـسَةٌ بالمِيْجَنـا والأوف واللّيّـا[5]
الـوَرْدُ جَـوريٌّ وموعِـدُنا **لمـا يـصيرُ الـوَرْدُ جُوريّـا!**[6]

---

(١) نَوّار هو اسم شاع في الشام، عن شهر أيّار (مايو).

(٢) الليلكة: واحدة شجر اللّيلك من أشجار الزينة، عطريّ.

(٣) مُشرعة: مفتوحة.

(٤) في كتب اللغة: الزّاد: طعام المسافر، والجمع: أزواد وأزودة. والزّوّادة: كلمة شامية تقال في ما يُحَضّر من طعام لمن سيأكل خارج المنزل كالمزرعة والمَصْنع والدكان (الحانوت)...إلخ.

(٥) الميجنا، والأوف واللّيا: أنماط من الغناء ذائعة في بلاد الشام (من الغناء الشعبي)، وأراد بالأوف هنا نوع (الزلف).

(٦) الجوري: نوع من الورد الأحمر. وتشتهر دمشق والغوطتان بالورد الجوري. وموسمُ إزهاره فصل الربيع.

فقول نزار في صفة بيت الحبيبة ومحيطه أنه صار مزيّنًا بأنواع الورد والزهر والزنابق، وكل ما يُخرج الرّبيع في موسمه الجميل، وعبارة: (نوار مرّ عليك) كناية عن صفة، وهي ما ذكرتُ من التحلّي والتزيّن.. ومثله قولهم مثلًا «جاء كانون بالخير» فهذه كناية عن المطر.

وقوله، بعد ذلك:«زوّادتي بيدي» كناية عن رغبته في الإقامة عند ذلك البيت مطوّلًا.

وقوله: (وموعدنا لمّا يصير الورد جوريًّا) كناية عن حلول الموعد المضروب بينهما، ويتضمن ذلك أنة في شهر نوّار في عز الرَّبيع.

وهكذا عَبّر نزار عن عدد من مقاصده بأسلوب الكناية (بالتعبير غير المباشر) نيابة عن الكلام المباشر.

وهو كما ترى نوع من التصوير الفني الذي يزيد الأسلوب جمالًا ويُسبغ عليه حيوية وألقًا.

(٣)

والكناية فن من فنون علم البيان، فهي تشارك أنواع التشبيه والاستعارة وسائر ما يتعلق بهما، وهي من أدوات التصوير والتعبير، وتقديم المعاني في صور مختلفة، وألفاظ غير مباشرة، وهذا يزيد الكلام رونقًا، وخصوصية، ويفتح للخيال مجالًا، ويعطي الأسلوب سمات مميّزة.

وقد تناول فنَّ الكناية علماء كُثُر منذ بدايات العصر العَبّاسي وصولًا إلى العصر المملوكي حيث استقرَّ مصطلح الكناية من الناحية العلمية واستقر العلماء على تقسيماته:

- فقيل في تعريف الكناية: إنها ما يُفهم من الكلام، ومن السّياق من غير أن يُذْكَر اسمُه صريحًا في العبارة.

- والكناية عند المبرد (أحد علماء النحو واللغة) تقع على ثلاثة أمور:

١ - التَّعمِية والتَّغْطية.

٢ - الرَّغبة عن اللفظ الخسيس إلى ما يدل على معناه من غيره.

٣ - التفخيم والتعظيم: ومن ذلك كُنية الرّجل: (أبو فلان) تعظيمًا له عن أن يُذكر اسْمُه.

- والكناية عند قدامة بن جعفر (لغوي وكاتب وناقد) هي: اللفظُ القليلُ محمّلًا معاني كثيرة، وضرب مثلًا من قول الشاعر:

بعيــدةُ مَهْــوى القــرط: إمّــا لنوفــلٍ

أبوهــا، وإمــا عبــدِ شــمسٍ وهاشــمِ

قال: فالشاعر في الشطر الأول أراد أن يصف طول الجِيْد (يعني الطّولَ المُسْتَحْسَن في عُنق الفتاة)«فلم يذكره بلفظه الخاصّ بل أتى بمعنًى هو تابع لطول الجيد، وهو بُعْدُ مَهْوى القرط». والقرط هو الحَلَق (يوضع في شحمة الأذن). وما يوضع في أعلى الأذن هو: الشَّنْفُ.

- وفَصَّل ابن رشيق في تعريف الكناية، وما يتعلّق بها أيضًا وأدخلها في باب (الإشارة) وهي عنده من غرائب الشعر ومُلَحِه. قال: وبلاغته عجيبة تدل على بُعد المَرْمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرّز والحاذق والماهر..

ومن أنواع الكناية في تفصيل ابن رشيق[1]: **التفخيم، والإيماءُ، والتعريض، والتلويح، والكناية، والتمثيل، والرّمز، واللمحة، واللّغز، واللّحن، والتعمية، والحذف، والتورية، والتّتبيع.**

- وفي تعريف عبد القاهر الجُرجاني[2]:

«الكناية: أن يريد المتكلّمُ إثباتَ معنًى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكنْ يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود فيوحَى به إليه، ويجعله دليلًا عليه».

- وانتهى البلاغيّون إلى عصر الكناية في ثلاثة أقسام:

١ - **الكناية المطلوب بها نفس الموصوف** (كناية عن موصوف) وهي قريبة وبعيدة:

- ومنها الكناية عن القلب بـ (مَجْمَع الأضغان) في قول الشاعر:

الــــضاربين بكـــلِّ أبـــيض مِخْــذَمِ

والطــــاعنين مَجــــامِعَ الأضــــغانِ

(١) ابن رشيق القيرواني ناقد، وشاعر، وهو صاحب كتاب (العُمْدَة).
(٢) ناقد بلاغي أَديب، والإشارة هنا إلى كتابه: (دلائل الإعجاز).

والأبيضُ والمخذمُ من صفات السّيف. ومجمع الأضغان: أي حيث يجتمعُ للإنسان حِقْدُه على عدوّه. ومثله قول البحتري يصف سهمًا رمى به ذئبًا يَتْبَعُه بعد سهم قبله:

فأوْجَرْتُـه أُخـرى فأَضـللتُ نَـصْلَها

بحيـث يكـون اللـبُّ والرعـبُ والحقـدُ

فجعل مجمع اللبّ (العقل) والرعب والحقد: كناية عن القلب.

٢ - **الكناية المطلوب بها نفس الصفة** (كناية عن صفة) وهي قريبة وبعيدة أيضًا، ومنه قول الشاعر يفتخر بأنهم لا يصابون في المعارك من ظهورهم أو أعقابهم، ولكن إصاباتهم في ما يَسْتقبل الإنسانَ (الوَجْه والظاهر من البدن للخصم):

فلَسْنا عـلى الأعقـاب تـدمى كُلومنـا

ولكـــن عـــلى أقــدامنا تَقْطُــر الـــدِّما

- (الكلوم جمع الكلم: الجروح).

وفي البيت كناية عن الشجاعة، والثبات في وجه العدو، وعدم تولية العدو الظّهر.

ومنه قول المتنبي:

تـشتكي مـا اشـتكيتَ مـن ألم الـشو

قِ إليهـا والـشوقُ حيـث النُّحُـولُ

وقوله: (والشوق حيث النحول) أي الشوق الحقيقي هو الذي يكون صاحبه ناحلًا (من فرط الشوق ومن همِّ البعد عن الأحبة) يقول: إن للشوق (الحقيقي) دليلًا من النحول، فمن لم يكن ناحلًا لم يكن مشتاقًا.

٣ - والكناية التي يُطلب بها تخصيص الصّفة بالموصوف، وهي الكناية عن نِسْبَة. ويُراد بها إثباتُ أمرٍ لأمرٍ أو نَفْيُه عنه، ومنه قول الشاعر زياد الأعجم يمدحِ رجلًا يُدْعى: ابن الحَشْرَج:

إن الـسَّماحةَ والمـروءة والنـدى

في قُبَّـةٍ ضُرِبـت عـلى ابـن الحَـشْرَجِ

- ومنه قول الآخر وهو يُثني على رجل:

الـــــيُمْنُ يتبـــــعُ ظِلّـــــهُ   والمجــدُ يمــشي في ركابِــهْ

- وقول أبي الطيب:

إن في ثوبــك الــذي المجْـدُ فيــه لـــ

ـــــضياءً يُــــزري بكــــلّ ضــــياء!

فإن سامع الشعر وقارئه يفهم من مضمون الكلام أن هذا الرجل نبيل كريم (ذو مجد عظيم) وزاد في التعبير التنويه بالإشراق والضياء.

(٤)

حين استقبل الأدب العربي عصر النهضة (الأدبي واللغوي) كانت الدنيا تضجّ بالمخترعات والاكتشافات في نواحي الحياة، وانفجرت اللغات المختلفة لاستيعاب هذا الجديد الذي قَدّمه الإنسان في الصّناعات ومنتجات تطبيقات العلوم في الحيوان

والنبات والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك والطب والصيدلة وكل ما يتعلق بالتجديد والتحديث من اختراع الآلات، وتغيير أنماط الحياة القديمة.. وقُل شيئًا شبيهًا بهذا في الفنون والآداب والاجتماع..

«تطوّر خطير» كما يقال غَيّر في أحوال الحياة، وانعكس على النتاج الأدبي شعره ونثره انعكاسًا شديدًا...

وهكذا اصطبغ الأدب الحديث بأصباغ جديدة في موضوعاته وتشبيهات الأدباء واستعاراتهم وكناياتهم، وحَلَّق خَيالُهم في ظلالٍ جديدةٍ إضافة إلى المألوف من الموروث التراثي.

وأَسهم الأدباء والشعراء في إيراد مفردات الحضارة والمدنية بأسمائها أو بالكناية عنها: ومن ذلك المنطاد والباخرة (السفينة البخارية) والطائرة، والسيارة، والصّاروخ والقطار، والكهرباء، وإلى مخترعات كثيرة جدًّا من الآلات والأدوات والمنشآت، وناطحات السَّحاب... وزَخَر المعجم العربي المعاصر بالمفردات الجديدة التي تتناول جوانب الحياة، ووسائل المعاش وأَلوان

الإمتاع المختلفة، وشاع الحاكي[1] والمذياع والتلفاز وانضم هذا الموكب إلى المسرح والسينما وخيال الظل (القديم المتجدّد)...

ومع مرور الزمن صار الطارئ مألوفًا، والجديدُ معروفًا، وانظر مثلًا قول فوزي المعلوف الملقب شاعر الطيارة، وهو يتحدث عنها، بين وصف مباشر، وتعبير غير مباشر بالكناية وغيرها، فقد قال من قصيدة نظمها وقد ركب طيارة:

هي طير من الجماد كأن الـ .. جِنّ في صَدْرها تحثُّ خيولا

حَمْحَمت تضرب الرياح بِنَعْلَيْـ .. ـها فشقت إلى السماءِ سبيلا

ثم مدَّت إلى النجوم جَناحيـ .. ـنِ وجَرَّت على السَّحابِ ذيولا

- (حمحم الحصان أَصْدَر أَصواتًا، والحمحمة غيرُ الصَّهيل).

ومنه قول عنترة في حصانه:

.... وشكا إليَّ بعبرةٍ وتَحَمْحُمِ

---

(١) كانوا يسمّون الحاكي: «صندوق السّمع» وهو اسم مناسب. واشتهر في الشعر ووسائل الإعلام بـ(الحاكي): الفونوغراف.

وقارئ الدواوين الشعرية الحديثة، وألوان الإبداع النثري المعاصر يجد الكناية منتشرة فيها، تؤدّي ما يراد منها: تلوينًا للأسلوب، وتبيانًا للمُراد (بطريق غير مباشر)، وتحسينًا للكلام بهذا النوع البَياني. ويستفيد الأديب المعاصر عادةً من الكنايات القديمة بِعَرْضٍ جديدٍ لها، أو إلماحٍ إليها، أو تطويرٍ لها، ويقدّم -على حسب ثقافته، أو اطلاعه، أو تجربته -كنايات من المعاصر والجديد، الذي شاع وساد، أو مما يخترعه هو، ويصوغه بلغة عربيّة أدبية.

ومن هذا المزج بين الكنايات المُستفادة من التراث والكنايات المعاصرة، نقرأ في قصيدة لمحمد البزم (وهو شاعر دمشقي توفي سنة ١٩٥٥) من قصيدة له في رثاء أحمد شوقي، قال[1]:

آذنوا الدّهرَ لظى الحربِ فقد
وتَرتْ كفّاه **أُمَّ العالمينْ**

فـ (أمّ العالمين) كناية من إنشاء الشاعر، مأخوذة من قولهم عن مصر: (أم الدُّنيا).

---

(١) ديوان محمد البزم ١: ١٠٠.

- وقال، وهو يذكر مزية شعر أحمد شوقي، ويكني عن ذلك بِذَوْبِ السّحر بالذي يسيل من شق قلم الكتابة:

رُبّ ذي شـــقٍّ لــــه في طِرْســـهِ

خُـــيلاء الفـــاتحين الثّملــــينْ

ســال ذَوْبُ الـسحر مـن قِرطاسِـهِ

مُـــستخفًا بعـــروشِ المَلِكِـــينْ

وكنّى عن أبناء مصر أو شعب مصر بـ(أبناء الفراعين) وهي كناية معاصرة، وزاد كناية أُخرى بقوله«بني الشمس»:

إيـــه **أَبنـــاءَ الفـــراعين** الألى

وجمـــال الـــدهر زيـــن العابـــدينْ

مـن **بنـي الـشمس** بهـاءً وعُـلا

واختيـــالًا دونـــه كِـــبْرُ الـــذَّوينْ

- يريد: أذواء اليمن (ملوكها القدامى).

وكَنّى محمد البزم عن مصر مرة أخرى بـ(أم الفَراعن) وهو يرثي سعد زغلول[1]، قال:

أم الفـــراعن زلزلـــت زلزالهـــا
وعَتَـــا بِهـــا قَـــدَرٌ أطـــالَ خَيالَهـــا[2]
سـعد وأنـت **أبـو الكنانـة**، والـذي
أولاك إمْرتهـــا يـــصدّق قالَهـــا

وفي البيت الثاني كناية عن مصر (الكنانة) وكناية عن سعد زغلول، وقد جعله أبا الكنانة. وبالمناسبة فإن زوجته (صفية) كان يكنّى عنها بـ(أم المصريّين).

---

(١) سعد زغلول: سياسيّ مصري برز في الربع الأول من القـرن المـاضي وكان داعية للاستقلال، وزعيمًا وطنيًا.

(٢) عتا (يعتو) استكبر وجاوز الحدّ، فهو عاتٍ.

(٥)

والكنايةُ فنّ يدلّ حُسْنُ استعماله على قدرةٍ فنية ولغوية وبلاغية، ويُعطي النصّ مزيّة خاصة يلوّنُها الكاتبُ أو الشاعرُ أو المتكلّمُ بأسلوبه وصياغته.

وهذه وقفة عند قصيدةٍ لشوقي[1] أورد فيها أكثر من كناية، وهي قصيدةٌ نظَمها في الأندلس حين كان منفيًّا من قِبَلِ الإنجليز (الذين كانوا يحتلّون مصر)، وأول القصيدة:

اخـــتلافُ النهـــار والليـــل يُنـــسي

اذْكُـــرا لي الـــصِّبا وأيـــامَ أُنْـــسِي

يقول فيها مخاطبًا السفينة المُفْتَرَضة التي يأمل أن تقلّه إلى مصر:

يـــا **بنـــة الـــيَمّ** مـــا أبـــوك بخيـــلٌ

مـــا لـــه مولعًـــا بمنعـــي وحَبْـــسِي؟

---

(١) ديوان شوقي ١: ٢٠٤ -٢١٣.

و(ابنة اليمّ) كناية عن الباخرة. واليمّ: البحر. وقد عامل الشاعر الباخرة معاملة الإنسان على سبيل المجاز. عاتب السفينة البخيلة عليه بأخذه إلى بلده، وأبوها (اليم = البحر) كريم (من معاني المدح بالكرم في الأدب العربي وصف الكريم بالبحر...).

وكنّى عن مدينة الإسكندرية التي يرجو أن ترسو السفينة فيه بـ(الثغر) فقال:

واجعلي وجهك الفنارَ ومَجْرا...

... كِ يَدَ الثّغْرِ بين رَمْلٍ ومَكْسِ[1]

ثم كنّى عن النيل بـ(ابن ماء السّماء) فقال:

وأرى النيل كالعقيق بِواديـ ...

... ـهِ وإن كان كَوْثَر المُتَحَسِّي

ابن ماء السّماء ذو الموكب الفَخْـ...

... ـمِ الذي يحسرُ العيون ويُحْسِي[2]

---

(١) الرَّمْل، والمكس: أسماء مواضع مشهورة في الإسكندرية.
(٢) حَسَر البصرُ: كَلَّ، ويُحْسِي الماء: يجرّعه: يسقيه.

وكنّى عن الأهرام بـ(ميزان فرعون) فقال:

وكـأنَّ الأهـرام ميـزان فرعـو...

... نَ بيـومٍ عـلى الجبـابرِ نَحْـسِ

أو قنــــاطيره تــــأنق فيهــــا

ألفُ جابٍ وأَلفُ صاحب مكسِ(١)

- وجعل الأهرام قناطيرَ مقنطرة من الثروة.

وكنّى عن أبي الهول بـ(رهين الرّمال) لأنه ماثل عند الأهرام في باديةِ الجِيزة بمصر، وقال:

ورهـــينُ الرمـــال أَفْطَـسُ إلّا

أنَّــه صُــنْع جِنّــةٍ غـير فُطْـسِ(٢)

ويعني بالفَطَسِ هنا شكل الأنف في وجه تمثال أبي الهول المنحوت.

---

(١) جابٍ: اسم فاعل من جنى المال. وصاحب المكس: الـذي يتقـاضى ضريبة المكس على البضائع (الجمرك).

(٢) كانت العرب إذا استعظمت شيئًا نسبته إلى الجنّ.

وكنّى في آخر القصيدة عن اعتدال جوّ الأندلس حيث عاش في منفاه، فقال:

يــا ديــارًا نزلــتُ كالخُلْــدِ ظــلًّا

وجَنًــى دانيًــا وسَلْــسَال أُنْــسِ

مُحسنات الفصول لا ناجِرٌ فيـ ...

... ـها بقَيْظٍ، ولا جُمادى بِقَرْسِ

- (ناجر من أسماء الشُّهور القديمة، وكان يجيء في الصَّيف).

أي هي متوسطة بين حرارة الصيف (والقيظ) وبين برودة الشتاء (القارس).

وكنّى خليل مردم عن طائرين (ذكر وأنثى) يمرحان في بستان فقال:

ســاجِعُ حَــنَّ إلى ذاتِ جَنــاحْ

والدّجى في الأفْقِ كالسّتر المُزاحْ

صَــفّقا بِــشْرًا وطــار فَرِحًــا

بِــسَنا الفَجْــرِ وريعــان الــصّباحْ

وسمّى الشاعر القصيدة (غَزَل الحَمام) (١). والسّاجع صفة الطائر بسبب غنائه أو تردادِ أصواته.

وكنّى في قطعة أُخرى عن الحمامة (بالمطوقة) وهي صفة قديمة لها، فقال(٢):

وسرحةٍ باللّوى وطْفَاء وارفةٍ
أرْخَتْ من الظلّ أردانًا وأذيالا
تحنو الغصون على من يستظلّ بها
كأمّهات إذا يَرْأمْنَ أطفالا(٣)
غنّت على فَنَنٍ منها مُطَوَّقَةٌ
إذا هوى راجحًا من تحتها مالا

ونظم خير الدين الزركلي قصيدة وهو خارج سورية، وقد نَجا من يد السّلطات الفرنسية التي كانت تستعمر سورية، وكنّى فيها عن بلده بـ(وادي النيربين) فقال:

---

(١) ديوان خليل مردم: ٦٦.

(٢) ديوانه: ٨٠.

(٣) رَئِمت الأمّ الطفل: أحبّته، وعطفت عليه، ومنه قالوا: أم رؤوم.

الأهــل أهــلي والــديار ديــاري

وشـعار وادي النيربـين شـعاري

و(النيربان) موضع مشهور في ظاهر دمشق (على أيّامه).

وأورد في القصيدة المذكورة عددًا من الكنايات عن الشام في أبياتٍ متواليةٍ حسنةٍ جدًّا فقال:

أُمّ القـــصور نـــواعمًا رَبّاتُهـــا

مـــا للقـــصورِ دواثـــر الآثـــارِ؟

أمّ الجنـــانِ الكاسـياتِ رياضُــها

حللَ السَّنا، مـا للريـاضِ عَـوارِ؟

أمّ الحيـــاة، وللحيـــاة نعيمُهـــا

هــل في ديـارك بَعْـدُ مــن دَيّـارِ؟

وكنّى في القصيدة عن مخاطَبٍ عامٍّ من أبناء الأمّة (أو مخاطَبِيْنَ) فقال يحث على استخلاص العِبْرَةِ، والتشمير عن ساعد الجِدّ لدحر الغاصب الأجنبي.

قم سائل الأجيالَ يا ابن **نسيجها**

واسْتَوحِ غامِضَ سِرَّها المُتَواري

فلعلَّ عِبْرَةَ مُجتلي صفحاتها

في ما محَاهُ الدَّهرُ من أسْطارِ

إن الشعوب لتستفيق إذا انتشت

والصحو غاية نشوة الإسكارِ

ثم كنّى في آخرها عن أبناء مصر، وهو يدعوهم لمؤازرةِ الثورة السورية بـ(ابن الكنانة) فقال:

يا **ابْنَ الكنانةِ** ما الجِراحُ دَوامِيًا

في الشَّام إلَّا في طُلى الأحرارِ

- (والطّلُى جمع الطُّلْيَة: العُنق).

وأنشد شفيق جبري في ذكرى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاويّ قصيدةً أولها[1]:

(١) الشعراء الأعلام في سورية: د. سامي الدهان، دار الأنوار، بيروت: ٢١٦ -٢١٧.

أَحُمرة الفجر بين النخل ما يَقِدُ
أم وجهك الطلق يا بغدادُ منفردُ؟

قال فيها:

يا **نائح النخل** غنّ القومَ إن
لحنًا يَفِيض على أنغامهِ السّهَدُ
واسكبْ على دجلةٍ قلبًا تموجُ به
قلبي على دجلة كالمَوْجِ مُحْتَفِدُ

خاطب شفيق جبري الطائر المغرد في نخيل موطن الشاعر الزهاوي (العراق) وكأنّه استعار من (نائح الطلح) في قصيدة شوقي الأندلسية، فقال مناسبًا لأكثر أشجار العراق شهرةً - على سبيل الكناية - يا نائح النخل...

- وكنّى حافظ إبراهيم[1] عن أمريكا بـ(أرض كولمب) يعني الأرض التي اكتشفها كولومبس، فقال وهو يذكر ضَرْبَ الشوام (لبنان وسورية) في الأرضِ:

---

(١) ديوانه ٢: ٢٤٤.

تيمّموا أرْضَ كولمبٍ فما شعرت

منهم بوطء غريب الدار حيرانِ

سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها

بـلاء مُـضطلع بـالأمر مِعْـوانِ

وكنّى الشاعر خليل مطران[1] عن شعر حافظ إبراهيم بـ(صدى الأطيار) فقد قال من قصيدة يُقَرّظه بها:

ما شعرُ حافظَ إلا صورةٌ مَثلَتْ

للنيل فاضَ بألوانٍ من النّعمِ

وليس إلا **صدى الأطيار** مالئةً

جنّاتِ مصر بما يشجي من النَّغَمِ

تـراه أصْـدَق مـرآة لأمّتـه

إن شفّ عن أملٍ أو شفّ عن ألمِ

-وكنّى حليم دمّوس عن الذكريات بـ(بنات الخيال) فقال[2]:

---

(١) المثالث والمثاني ٢: ٢٤٠ -٢٤١.

(٢) المثالث والمثاني ١: ٧٩.

بنـــاتَ الخيـــالِ أَعيـــدي إليَّ

زمـــانَ دمـــشقَ وعهـــدًا عَـــبرْ

أعيـــدي إليَّ حـــديثَ الرّفـــاقِ

وردّي عـــليَّ ليـــالي الـــسَّمرْ!

- وقد وصف الشعراء المعاصرون الطائرةَ، وفيهم حليم دَمُّوس[1] فوصف وأطال ثم ذكر أحد أوائل الطيارين، وترك اسمه وكنّى عنه فقال:

يا **فاتح الجوّ** والأرياحُ عاصفةٌ

وقاهر البحر والأمواج في صَخَبِ

لقـد أتيـت الـذي لم يأتـه بـشر

حتى جَلَوْتَ حجاب الشكّ والرِّيَبِ

ودخلت عبارة «ذرّ الرماد في العيون» الشعر، فقال خليل شيبوب في مطلع قصيدته (عفيفة)[2]:

(١) المثالث والمثاني ٢: ١٦٩.

(٢) ديوان خليل شيبوب: ٧١.

كـذبَ المـسمّي والمُـسَمّىٰ إنّهـم

ذَرّوا الرمادَ على **العيونِ ولوّحوا!**

وفي هذا الشعر استفادة من كناية معاصرة دخلت الاستعمال نثرًا وشعرًا، وهي: «ذر الرماد في العيون» أو: «ذر الرماد على العيون». وهي عبارة مترجمة موجودة في اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسيّة، وهذا العمل يؤدّي إلى اضطراب الرؤية مدّةً واختلالها. ومَنْ ذَرّ الرمادَ في عيون أحدهم فإنه يريدُ أن يُمَوّه ما يفعل، ويضلّل الطرف الآخر، ويُضَيّع الحقائق فهو:

- يعمل شيئًا كاذبًا في عمله، لأنه يريد أمرًا آخر.
- ويقول شيئًا (كلامًا موافقًا) وهو يُضمر غيره.
- ويمدح أحدًا على الملأ، وهو في الحقيقة يعاديه ويناوئه.
- ومن الكنايات المعاصرة التعبير عن الأجنبي بأنه لا يتقن العربية، ومنه قول محمد البزم(١) وكانت البلاد تحت الانتداب الفرنسي:

لا عـــيش للعـــربيّ في وطـــنٍ

ربُّ الـسّيادةِ فيــه **مَــنْ رَطَنَــا**

---

(١) ديوانه: ٣١١.

- وفي اللغة: رَطن الأعجميّ (الأجنبيّ) تكلم بلغته.

- واستفاد محمد البزم من التراث الشعبي، بعبارة صحيحة وقال في صفة أحدهم وهو يَدّعي صناعة الشعر.

يــا **ببغـــاء الــضّاد** قــد　　أَضْـمَرْتَهَا ونفـشت عِهْنـك

فـ بَبْغاء الضاد كناية عن الذي لا يتقن الشعر الحسن ويدعيه؛ وقوله: نفشت عِهْنَك: أي أكثرت دعاواك. وفي المعجم الوسيط: النفش: كثرة الكلام والدّعاوى. والعهن هو الصّوف.

(٦)

ومن الكنايات المعاصرة التعبير عن النساء **بالجنس اللطيف** وقد قرّظت الأديبة زينب فواز مجلة (الفتاة) حين صدرت بقطعة من الشعر قالت فيها مخاطبة (هند نوفل) صاحبة المجلة[(١)]:

عِـــزّ الفتـــاة يـــزينُ أربـــابَ الأدبْ

وبهـا ازدهـى **الجنس اللطيـف** كـما أَحـب

(١) تـاريخ الـصحافة العربيـة: فيليـب دي طـرازي، المطبعـة الأدبيـة، بيروت، ج٣ ص٩٦.

جـــاءت لنـــا (هنـــدٌ) تـــزفّ فتاتهـــا

حـــور المعـــاني المـــسطرات ولا عَجَـــبْ

وفـــــدتْ محـــــلّاةً بكـــــل فـــــضيلةٍ

جمعـــت حـــضارتها فـــصيحاتُ العـــربْ

فليهنـــأ **الجـــنس اللطيـــف** بنـــشأةٍ

مـــا كـــان يَبْلغهـــا الزمـــانُ ولـــو طَلَـــبْ!

- وقد شاعر في مجال الدعاية لملابس نسائية[1]:

لـئن زان الـورى جـنس لطيـف

فهٰـذي زينـة الجـنس اللطيـفِ!

(٧)

والكنايات: هي من استنباط الناس عامّة يستوي في ذلك الكتاب والأدباء والشعراء والعلماء في الاختصاصات المختلفة، ويدخل في القدرة على إيراد الكناية سائر الناس.

---

(١) المثالث والمثاني ٢: ٣٢٥.

فالكناية نوع من الإبداع القائم على التّخييل والتصوير، لأنها تعبير غير مباشر عن فكرة أو معنًى أو مقصد من مقاصد الكلام.

- وكثيرًا ما تكون الكناية التي ترد في نصٍّ شعري أو نثري قادرة على أن تلفت النظر، ويستعيرها غيرُ صاحبها، كما هي أو بتغييرٍ وتبديل يلائم مقاصده، ومجرى كلامه.

ومن هنا ننتبه إلى ما تُحْدِثُه الكناية المعاصرة (بنت الوقت، والزمن الذي نُعايشه) من صَبْغِ الكلام بصبغةٍ عصريّة، وملامح جديدة: ويقدّم كل مبدع ما يتهيّأ له من فن الكناية بما يناسب المقام في ما يكتب، في مجالات الحياة المختلفة، وإن كان الأدباء والشعراء وأهل الصحافة والإعلام ومَنْ جاراهم أكثر استعمالًا لهذا الفنّ، وأكثر تلوينًا فيه.

- ومن المجالات التي يظهر فيها أثر الكناية: الإشارة إلى البلدان والمواضع، ووجوه النشاط الاجتماعي كالرياضة بأنواعها، وظهور الأدوات والأجهزة الحديثة التي اقتحمت الحياة المعاصرة، وما يكون معها من أنشطة كالإذاعة والتلفزة والسينما والمسرح، وألوان الفنون كالرسم والموسيقا والنّحت والزخرفة...

ويستفيد المبدعون من انفتاح العالم بعضه على بعض بما ظهر من وسائل المواصلات والاتصال: السيارة، والطائرة والتواصل الاجتماعي عن طريق الشّبكات الإلكترونيّة.. وصار الكاتب والمتكلم يستند أحيانًا إلى مُعطيات هي أصلًا ليست من بيئته المباشرة... إذن: هو اتّساع، وتطوّر، وانفتاح بعيد المدى... فقد كان (ابن بطوطة) اسمًا يكنّى به عن كثير الأَسفار أو المُبْعِدِ في أسفاره، وصرنا نجد من يذكر (كولمبس) للغرض نفسه... وكنّوا عن مجريات حياة الإنسان ومرور الأيام بِمُضِيّ«قطار العُمر».

وسأعرض لنماذج مختلفة، تحت عناوين متعدّدة، تقدم للقارئ ما يدله على هذا الذي نقول من التقاط الكتاب والشعراء والأدباء، وأهل الفن والإعلام وغيرهم من محيطهم القريب، ومن كل جهةٍ تتيح لأحدهم أن يلتقط فكرة أو صورة، ويصوغ كلامه، مستفيدًا من أنواع الكناية على الجاري المألوف من كلام العرب ونتاجهم الأدبي والفني...

- وقد استفاد المعاصرون من المترجمات عن اللغات الأجنبية واقتبسوا بعض الكنايات السائدة في غير محيطنا، ممّا يسوغ نقلُه ويمكن توظيفه، وإدخاله في نسيج الكلام العربي.. كالكناية

بنظرة الموناليزا (أو الجوكندة) وهي صورة شهيرة لسيّدة إيطاليّة، ومثل ذلك التكنية بتصاعد الدخان الأبيض[1]... الخ.

(٨)

استفاد المعاصرون - كما صنع السابقون - من عنصر اللون. ولكن المُحْدَثين طوّعوا الكلام على الألوان بما يناسب كتاباتهم ومعالجاتهم، وبما يدلّ على الحداثة أيضًا.

اللون الأزرق:

- فمن اللون الأزرق استفادوا عبارة (الكتابة بالحبر الأزرق) إشارة إلى إنجاز الاتفاق، وتمام مسوّداته، وكتابته للمرة الأخيرة أي: صار الأمر ناجزًا.

- ومنه (دفع فلان ثمن حبره) إذا كان ثابتًا على رأي أو موقف ولم يبال بالصعوبات.

- وقالوا في ما يُتفق عليه بين طرفين ولا يُنَفَّذ إنه (حبر على ورق).

---

(١) إذا تمَّ أمر طال انتظاره يقال إن الدخان الأبيض قد تصاعد (في مقابل الدخان الأسود الذي يكنى به عن الأمر لم يتم).

- وقالوا: (إن الخلاف رجع بين فلان وفلان قبل أن يجفّ حبر الاتفاق بينهما).

اللون الأبيض:

- ومن الكنايات المستفيدة من لون البياض: قولهم: (وَقّع لفلان على صَكٍّ أبيض) (١) أي ترك له كتابة رقم المبلغ الذي يريد، ووَقّعَ مُسْبَقًا! ولا يكون هذا إلا في الأمر المهمّ، والعزيز.

- وقالوا في من أذْعَن لصديقٍ أو جارٍ أو غيرهما (رفع الرّايةَ البيضاء) أي وافق له على ما طلب. وأَصْلُ الكناية من استعمال أيام الحروب، ورفع راية التسليم.

- وقالوا: (دعاية بيضاء): وهي دعاية معلومة المَصْدَر، لدعم فكرة أو قضية أو موضوع ما، وهي: الدعاية المكشوفة التي تعتمد على مخاطبة العقل في عرض الحقائق.

- وكنّوا (بالأسِرّة البيضاء) عن المستشفيات.

---

(١) كلمة شِك أو شيك الأجنبية أصلها (صكْ) العربية.

- وقالوا غنّى باللهجة البيضاء أي بعبارات عامية ولكنها قريبة من الفُصحى (ولا تشبه لهجة بلدٍ معيّن).

- وكنّوا بالليالي البيضاء عن سهرات الأُنس والصحبة.

....

اللون الأخضر:

- وكنوا عن مائدة القمار بـ(المائدة الخضراء)، وذكرها الشاعر حليم دمّوس باسم الخِوَان الأخضر (للمعنى نفسه).

وليلـــــةٍ ســـــاهرةٍ قـــــضيتُها
وصـــــحبة حـــــديثهم يَلَـــــذّ لي

وقربنـــا حـــسناء لا هـــمّ لهـــا
إلا اقتنـــــاصُ فتيــــةٍ وكُهَّـــــلِ

أبــصرتُها والــصّحبُ في مقمــرةٍ
حــول **خِــوَانٍ أخــضر** مُجُلّــلِ

اللون الأصفر:

- وكنوا - بالاستعانة باللون الأصفر - فذكروا مثلًا «الابتسامة الصفراء» وهي كناية عن كونها ابتسامةً غير صادقة: يرسمها الفم ولا يصدقها القلب[1].

- وكنوا **بالبطاقة الصفراء** عن بطاقة يُخرجها الحكم ليعطي لاعبًا مخالفًا إنذارًا أوّل.

- وقالوا: (صحافة صفراء) لنوع من الصحف يعتمد على الإثارة وتتبّع الفضائح الاجتماعيّة، وأخبار الجرائم... **إلخ**. وقد ذكرها أحد الشعراء فقال من قطعة:

وسطوة **الصحف الصفراء** تأخذنا

أخذ الأسير إلى أحضان مَنْفاهُ!

اللون الأسود:

- وكنّوا عن الفقرات (والبُنود) السرية في اتفاق أو معاهدة بعبارة (العُمق الأسود).

---

(١) وهذا كقول أبي الطيب:

ولما صار ودّ الناس خِبّاً ... جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ

- وقالوا في بعض ما تصنعه الحرب النفسية إنه (الدّعاية السَّوداء). وقالوا في الرجل الذي لا أهمية له في أُسرة جيدة إنه (الخروف الأسود) والعبارة مترجمة.

- وقالوا في معنًى سياسي إن فلانًا قد أُدْرِج اسمه في القائمة السَّوداء. وكنوا بالدعايات المعادية إنها (ثقافة الكراهية السَّوداء).

اللون الأحمر:

- وقالوا في المحظور الممنوع: خط أحمر، أو أمامه: خط أحمر. (أي لا يصح، ولا يجوز تجاوزه).

اللون الرمادي:

- وكنوا باللون الرّمادي أيضًا، فقالوا في أحدهم إنه لا يحب اللون الرمادي، أي هو يطلب الوضوح والصراحة.

- وقالوا في الأمر يفعله أحدهم أو القول يقوله: وهو غير صادق، وإنما يقوله تمويهًا: (هذا من ذرّ الرماد في العيون).

- وكنوا عن سوق متوسطة بين السوق الحرة والسوق السَّوداء إنها سوق رمادية...

(٩)

- **ومن عالم الجغرافية** قالوا في الكناية عن أوربة (والدول المتقدّمة علميًا وصناعيًا) **دول الشمال**، وكنوا عن **العالم الثالث** بـ: دول الجنوب وقد يقال فيهما - دون كناية -: الدول الغنيّة، والدول الفقيرة...

وكنوا عن مدينة حمص بـ(جارة العاصي) مماثلة لوصف أحمد شوقي مدينة زحلة بـ(جارة الوادي). ومن الكنايات عن حمص أنَّها (أم الحجار السُّود)، قال شاعر حمص المهجري نسيب عريضة[1] من منظومة حسنة جدًّا:

يا جارة العاصي لديك السؤددُ
لبنان دونكِ ساجدٌ متعبّدُ
هو عاشقٌ من دمعهِ لكِ مُوْرِدُ
وارحمتا لِمُتَيَّمٍ مصفودِ

(١) أحد رجال السّياسة، المقاومين للاستعمار الفرنسي، العاملين تحت مظلة العهد الوطني ضد الاستعمار. وله ديوان مطبوع، وشعره حَسنٌ فيه طلاوة.

يسقى الهوى من قلبه الجلمودِ

....

يا حمصُ يا أمَّ الحجار السُّودِ

- وكنوا بعبارة: خارطة طريق عن: خطة معيّنة مقترحة لحلّ مشكلة أَو أَزمة...

- وكنوا بـ **إخوة التراب** عن أبناء البلد الواحد... أو أبناء الشعب الواحد.

ومن هذا الملمح قال فخري البارودي:

بلاد العُرْبِ أوطاني من الشام لبغدانِ

ومن نجدٍ إلى يمن إلى مصر فتطوانِ

ويتكرّر الكلام على (أبي الهَوْل) عند أهرامات الجيزة، وتفنن الشعراء في الكناية عنها، وفيهم الشاعر محمد الأسمر وقد قال:

يا أبا الهول يا **سليل الجبالِ**

يا **ربيب الدهور** ، يا **ابنَ الليالي**

أنت أعجوبة العصور الخوالي

كـم وصـلت الأجيـال بالأجيـالِ!..

وصــحبتَ الزمــان في كــل حــالِ

- **ومن الكنايات الموصولة بالتاريخ** قولهم: (أحرق مراكبه)، يكنّى بها عمّن وضع نفسه في موقف التحدّي الذي لا ينفع معه إلّا النجاح والربح والفوز[1]...

- والكناية بحصان طروادة، وهي قديمة، جدّدتها النصوص المعاصرة في الأدب والفنّ، وكنوا بـ(حلّ ماري أنطوانيت) الذي اقترحته لحل مشكلة الجياع في باريس!...

وكثرت في العصر الحديث التّكْنِيَة عن المَواقع والبلدان والمدن بِكُنًى مختلفة يخترعها الأدباء والشعراء، أو تكون وصف حالٍ يشيع ويصلُ إلى النّصوص الأدبيّة.

---

(١) العبارة موصولة بما روي من أخبار طارق بن زياد فـاتح الأنـدلس، قالت إحدى الرّوايات إنه بعد نزول جنـده أرض الأنـدلس أحـرق المراكب التي أوصلته مع الجند، وقال لهم مشجّعًا على القتال حتـى النصر «العدو من أمامكم والبحـر مـن ورائكـم ولـيس لكـم والله إلا النصر...» ويضعِّف كثيرٌ من المؤرخين هذه الرواية.

فكنوا عن دمشق بـ(الفيحاء)، و(أقدم عاصمة في التّاريخ)، وعن حلب (الشّهباء)، وعن مصر: (أُمّ الدنيا)، وعن تونس (بلد الزّيتون)، وعن غرناطة: (دمشق الأندلس)، وعن بغداد: (دار السَّلام)، وعن المَوْصِل: (أم الرّبيعين)...

وكنوا عن باريس بـ: (مدينة النور)، وعن لندن بـ(مدينة الضّباب)، وعن أمريكا (الولايات المتحدة): بـ (بلاد العَم سام).

- ونقف من الشعر عند أبيات من قصيدة شوقي[1] (دمشق) التي أوّلها:

قُمْ ناجِ جلَّقَ واذكر رَسْمَ من بانوا

مشت على الرّسْمِ أحداثٌ وأَزْمانُ

فقد كنى عن الشام وأهله وغوطة دمشق بكنايات حسنة، وفي هذه القصيدة - وقد تَذَكّر (الزهراء) بالأندلس، وهو يشاهد (الفيحاء) أمامه (دمشق) قال:

(١) ديوان شوقي ١: ١٦٠ -١٦٢.

بـالأمس قُمْـتُ عـلى (**الزّهـراء**) أنـدبهمْ

واليـوم دَمْعـي عـلى (**الفيحـاء**) هَتّـانُ[1]

وذكر أهل الشام فقال:

نزلـــتُ فيهـــا بفتيـــان جَحاجِحَـــةٍ[2]

آبـــاؤهم في **شـــباب الـــدهر** غَـــسّانُ

بِـــيض الأَسِرّةِ بـــاقٍ فـــيهم صَـــيَدٌ

مـن عبـد شَـمْسٍ وإن لم تَبْـقَ تيجـانُ!

وذكر غوطة دمشق وكنّى عنها فقال:

خَمِيْلَـــةُ الله وشَـــتْها يـــداهُ لكـــم

فهـــلْ لهـــا قَـــيِّمٌ مـــنكم وجَنّـــان؟

(١) يذكر أثر الاستعمار الفرنسي في الشام، ويتعاطف مع أَهل الشّام.

(٢) جحاجحة: سادة كرام. وقد ذكر في القصيدة العرب عامة ثم خصّ بني أمية خلفاء الدّولة في العصر الأموي، وقبيلة غَسّان اليمنية سكان الشام قبل الإسلام وبعده.

فـ(بيضُ الأَسِرّة) كناية عن الكرم والشرف. والصَّيَدُ: العزّة والكبرياء، وجعل الغوطة خميلةً وارفة الظلال من نِعَمِ الله على الشام، والجنّان: البُستاني.

ولأحمد شوقي في صفة بلد الإسكندريّة مكنّيًا بـ(ثغر المعالي) و(المنار)، قال(١):

شاد إسكندرٌ لمصر بناءً   لم تشده الملوك والأمراءُ
بلدًا يرحل الأنامُ إليه   ويحجّ الطلابُ والحكماءُ
عاش عمرًا في البحر **ثغر المعالي**   و**المنار** الذي به الاهتداءُ

وذكر أحمد شوقي أبا الهول بكنايات جديدة فقال في وصف طويل(٢):

أبا الهول أنت **نديمُ الزمان**
نجيّ الآوان، سميرُ العصُرْ
ظليل الحضارة في الأَوّلينَ
رفيع البناء، جليلُ الأَثَرْ

---

(١) ديوان شوقي ١: ١٧٦ -١٧٧.
(٢) ديوان شوقي ١: ١٩٥.

ولقّب الشاعر القروي مدينة هيوستن، وهو في مُهاجَره بـ(لؤلؤة الخليج) كناية عن اسمها، فقال من قصيدة وعَرَفتُ لؤلؤة الخليج وأهلها[1]...

(١٠)

ودخل الإعلام بأنواعه عالم الكناية، واستنبط الإعلاميون كنايات كثيرة من مجال عملهم (الإذاعة، التلفزة، الصحافة اليومية، الإسبوعيّة...) الخ.

- فقالوا في ما لا يصح من الأخبار (**كلام جرايد**) تهوينًا من شأنه.
- وكنوا عن نوع من الصّحافة (كما سبق في الصحافة الصفراء) فقالوا: **صحافة إثارة.**
- وكنوا عن المحاولات الجادّة للإصلاح بين طرفين إنها عملية **كسر الجليد.**

---

(١) ديوان الشاعر القروي ١: ٦١.

- وكنوا عن القطيعة بـ(**حَرْق الجُسور**).

- وكنوا عن الصّحافة جملة بـ(**السلطة الرابعة**).

- ووردت كنايات كثيرة من عالم المسرح والسينما، فكنوا عن نهاية أمر بـ(**إسدال الستارة**).

من عالم الفن:

- وكنوا عن الخاتمة المفرحة في فلم من الأفلام بـ(**النهاية السعيدة**). وكنوا عن البَطل السينمائي الناجح الرابح بإنه (**نجم شبّاك**). وقالوا في القصة أو المسرحية لم تُقَدَّم فيهما خاتمةٌ إنها (**نهاية مفتوحة**) والعبارة مترجمة.

وقالوا في الفتاة تظهر صورتُها على مجلّة فنية: فتاة غلاف، وقالوا عن أفلام تجارية سريعة في مرحلةٍ معينةٍ إنها: **أفلام مقاولات**.

- وقالوا في المشهورين إنهم **تحت الأضواء**.

- وكنوا عمّن انسحب من الساحة الفنية إنه (**في الظل**).

في الاجتماع والسياسة:

وألقت الكنايات الاجتماعية والسياسية بظلالها على ألوانٍ من الكناية؛ فمن ذلك قولهم في تنفيذ القانون على كل أحد: «كلنا **تحت سقف القانون**»، وقولهم عن ممثّل الطّرف الغائب أَو ذي الرّأي الآخر، أو قوله عن نفسه إنه: «**محامي الشّيطان**» يفعل ذلك لإثارة ألوان الحوار. ومن ذلك عبارة «**الانحناء للعاصفة**» عن مسايرة الأمور، وعبارة: «تم هذا الأمر من **تحت الطاولة**» أي دون ضجة وبعيدًا عن أَعْيُن الملاحظين. والكناية عن مناطق السكن غير المرخّص بـ(**العشوائيات**)، وقولهم عن الانتهازي إنه: **يصطاد في الماء العكر**، وقول أَحدهم وهو يعتذر عن عدم إنجاز المطلوب منه سريعًا إنه «**لا يملك عصًا سحريّة**».

ومن ذلك قولهم عمّن يخطط لمخارج الأمور، مع التحضير لمداخلها إنّه (**يحفظ خط الرجعة**)، ومنه قول الشاعر:

يـــا طالعًـــا في جفـــوني   وغائبًـــا في ضــــلوعي
بالغْــتَ في الــسخط ظُلــمًا   ومـــا رحمـــتَ خُـــضوعي
إذا نويـــــتَ انقطاعًــــا   «فاحسبْ حسابَ الرجوع»!

ومن الكنايات الموصولة بالإعلام قولهم في الصّحافة التي تهتم بالإثارة، وما شابه ذلك: صحافة«التابلويد»[1]، والصّحافة الصفراء، وكنوا عن قلم عالي الطبقة إنه **يستحق الأوسكار**.

ولما ظهر المِذْياع[2] كنى عنه الشعراء بكنايات مختلفة، فقال العقاد مثلًا:

مــلأ الآفــاق **صَــدّاحُ الأثــير**

لا فـضاءَ اليـومَ بـل صَـوْتٌ ونُـوْرْ

وكنّى عنه علي الجارم بـ(الطائر الصدّاح)، فقال:

سِرْ يـا هـواءُ فأنـت أول مركـبٍ

واهتف بصوتِ **الطائر الـصدّاحِ**

واستفادت الكناية المعاصرة من مصطلحات أنواع الرياضة المختلفة، فكنوا عن البدء بمشروع أَو بمهمّة بـ **إطلاق الصّافرة**،

---

(١) كناية عن صحيفة ذات حجم معين (أصغر من المألوف) تهتم بما يحدث في المجتمع من غرائب وفضائح -كما تسمّى- وأحوال أهل الفن... الخ.

(٢) كان يسمّى أولًا باسمه الأجنبي:«راديو». ثم قالوا فيه:«مذياع» من العربية: ذاع.

وكنّوا عن التوتر بين بلدين أَو اثنين مهمين بـ **الحبل المشدود**، وقالوا في الفريق الرياضي الذي لم يحقق خصمه ضدّه أيَّ هدف إنه **لم تهتز له شِباك** في تلك المباراة، وقالوا في مَنْ فرّط في أمر وحاول استدراكه بعد فوات الأوان إنه «**يلعب في الوقت الضائع**».

ومن الكنايات المعاصرة قولهم إن فلانًا **يجيد ركوب الموجة** إذا كان بارعًا في تنسيق أُموره للاستفادة من الظروف[١]..

ويكنّى عَمّن يريد تعميةَ أمرٍ وإخفاء حقائقه إنه بارع في **خلط الأوراق**..

والموادّ التي تستفادْ منها الكناية مفتوحةٌ على مرافق الحياة، وجوانب المجتمع، ومن ذلك مثلًا الاستفادةُ من المآكل والمشارب كتعبيرهم عن التجار المستغلّين للظّروف أو المغالين في الأرباح: **بالقطط السمان**، وقولهم في من ائتمروا على مكاسب معينة في مهمّة أو تجارة أو استغلال إنهم **اقتسموا الكعكة** وقولهم في البارع مجتهدًا -أو مستغلًّا - إنه: **يعرف من**

---

(١) على أن هناك رياضةً قوامها التزلج على أمواج البحر، فذلك تعبير حقيقي لا كنائي مجازي.

أين تؤكل الكتف، وقولهم في الذي ينتقي ويختار ويزاحم غيره بأنه يحب أن **يشرب من رأس النبع**.

ويكنى عَمّن يستطيع التعامل مع الناس في ظروفهم المختلفة إنه بارع في **ركوب الموجة**، وإنه **يُجيد الانحناء للعاصفة**.

ويكنّى عن المنفرد برأيه، المصمم على مواقفه، وإن اختلفت عَمّن حوله أنه: **يغرّدُ خارج السّرب...**

ومن كان على العكس من ذلك كنوا عَمّن يعمل ذلك بأنه **قادر على تغيير جلده**.

وكنوا عن النائي بنفسه، الملتفت إلى ذاته: إنه يعيش **في برج عاجيّ**.

ومن الكنايات عن اللغة، قالوا في من يُردّد كلامًا معادًا مكرورًا إنه يجيء **بكلامٍ محنط**، أو أنه يتحدّث **بلغة خشبية**.

وكنوا عن مدّة الصَّفاء بين اثنين أو جهتين بـ(شهر العسل) فإذا طرأ بينهما خلاف قالوا على سبيل الكناية أيضًا: «**لقد انتهى شهر العسل بينهما**!».

وكَنّوا عن أحدهم يتقن عمله، ويؤدي واجبه على درجة عالية أنه ممّن **(تُرْفَعُ له القُبعة)**، وهي عبارة مترجمة، شائعة.

وقد تكون الكناية معاصرة، فصاحبها من رجال العصر الحاضر ولكنه يستفيد بعض كناياته من مفردات تراثية ثم يعيد صياغتها في براعة، واقتدار، وأضرب مثلًا من الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) من ديوانه، فقد قال مثلًا في انقطاع وافد الشعر عليه مدّة(١):

تزوَرُّ عَنّي **بناتُ الوَحْي** عابسةً

كأنني ما نَظَمْتُ الشعرَ في زمني!

عهدي به كلّما استوحَيْتُ نَزّلَ لي

آيَ البيان كصوت العارض الهَتِنِ

(ومعنى تَزْوَرُّ: تبتعد عني وتتجنّبني).

- وقال:

ولا استقلالَ إلا بعد وَعْيٍ

وحَرْبٍ **بالصّرير وبالصَّليلِ**

(١) ديوان الشاعر القروي ١: ٥٢.

كنّى عن السياسة والتدبير بصرير الأقلام، وما ينتج عن الفكر؛ وكَنَّى عن السلاح جملةً **بصليل السيوف** (نيابة عن سائر أدوات القتال).

وقد قال علي محمود طه في المقصود نفسه (عن الأعداء):

وليسوا بغير **صليل السيوف**

يجيبون صوتًا لنا أو صدى!

(١١)

ونقرأ في سيرة وجيه بيضون الذاتية (صراع مع الحياة) من فقرة كتبها عن مدة عمله في تنضيد الحروف في المطبعة وكان هذا من الأعمال الصعبة، قال[١]:

«وماذا عَسايَ أن أذكر عن حياتي في هذه الحقبة من المجاهدة، وأنا ما كنت **أعرفُ النّوم إلّا لِمامًا، ولا أتذوّقه إلا لِماظًا، أنهضُ والفجرُ أوّل ما ينهض، وأَخْتِمُ والليل لم يَبْقَ من**

(١) صراع مع الحياة: وجيه بيضون، مطابع ابن زيدون، ١٣٧٧ - ١٩٥٨، ص٧٢ -٧٣.

تجاليده إلا مثلُ ما بقي في جَلَدِي من قُوّة... عمل مُضنٍ مرهقٌ طوال النهار، ثم انكبابٌ لا هوادةَ فيه على الدرس والمطالعة آناء الليل... وإني إلى ذلك لا أصيب من الطعام إلا الكفاف خبزًا أسودَ لا أُدْم معه، فإن حَسُنت الحال فقبضةٌ من الزيتون أو شيء من الشوندر..».

ثم ذكر مرضه وما عانى في بدنه من نقص التغذية وطوال التعب حتى قال:

«ومضيتُ ألتمسُ البُرْء عند الأطباء، وفي المستشفيات، وإن الداء لداء معدة خاوية، **وفقر أخرس أسود**، لا شأن معه **لإخوان إبقراط وجالينوس**، إنما الشأن للعيش رخيًّا راغدًا، ولا سبيل إليه، وهكذا حملتني **موائد التشريح** موثق اليدين والرجلين، معصب العينين، مكموم الأنف يكاد يخنقني المخدّر..».

نلاحظ في هذا النص اعتماد الكاتب على التصوير، ولجوءه كثيرًا إلى الكناية، وقد بيّنت مواضع منها بالعبارات المؤكّدة بالحروف البارزة.

وأعانته الكنايات على تصوير الحال، وأعانته أيضًا على تفريغ عناصر مختلفة تعتلج في صدره من الأسى والمرارة، ومن السُّخرية المرّة، إضافة ما تقدّمُهُ هذه الصُّور من ظلال واقعيّة يخيّلها الكاتب أمامك كأنك تراها...

(١٢)

وفي ديوان شفيق جبري أكثر من قصيدة عالج فيها التقدم العلمي في العصر الحديث، ومن ذلك (غزو الفضاء) والوصول إلى (القمر)...، ونقرأ في قصيدة (خيال الغد):

ذلّـــل المـــرءُ مُعْـــضِلاتٍ جـــسامًا
بـــــذكاء في عقلِــــه وصِــــقالِ
خَـــرق الجـــو كالريـــاح فباتَـــتْ
أنْـــسُر الجـــوّ منـــه في أَوْجـــالِ
وترامـــتْ بـــه **البحـــارُ، وجالـــتْ**
فُلْكُـــه في الميـــاهِ كُـــلّ مجـــالِ

وتَناجى عـوالمُ الـشرق والغَـرْ ...

... بِ وشـدّوا خيـولهم في ارتحـالِ

لم يفتهم سوى الوقوف على الغيْـ ...

... ـبِ وعلم الغيوب صَعْبُ المنالِ!

وفي قصيدةٍ أُخرى يخاطب القمرُ الأرض، على سبيل التخييل والتشخيص:

مـا لي ومـا لـك تغـزين الـسَّماءَ فهـل

يمضي بك الجدُّ أم يمضي بك اللعبُ

أتـــزحفين إلى الأفـــلاك ســـاخرةً

كأنـك الـرّمحُ أدْنـى سـيره الخَبَـبُ؟

فـــما تقــرّ عـــلى أكبادنـــا مُهَـــجٌ

ولا يقــرّ عـــلى أجفاننـــا هُــــدبُ

خَـلّي الكواكـبَ لا تغـزي مناكبهـا

فالشمس واجفةٌ والشّهبُ تضطربُ!

وكان في جملة ردّ الأرض على القمر من هذه القصيدة:

مهـلًا **أبـا الحُـسْنِ** لا تقلـقْ لغزوتنـا

ولـيس في غزونـا نهـبٌ ولا سَـلَبُ!

* * *

وفي ديوان خليل مطران قصيدة في تكريم السياسي الوطني المصري مصطفى كامل، وقد وَجّه الحديث إلى الرجل وتمثال رفعوه له في أحد ميادين القاهرة، وسمّى التمثال رَسْمًا، قال:

رسـمٌ يلـوحُ **وفيـه معنـى أَصـله**

فَـيَرُوعُ بـين حقيقـة وخيـالِ

لان الحديـد لـه فـصاغ لعينـهِ

أثـرًا عـلى الأيـام لـيس ببـالِ[1]

كـم في بليـغ سُـكوته مـن عـبرةٍ

أَوْفى وأكفـى مـن فـصيح مَقـالِ!

---

(١) أي لا يَبْلى على مرور الأيام.

هـــو خالــدٌ **ويظــلُّ مِـــدْرَهَ قَوْمِــهِ**
في كـــلِّ نازلـــةٍ وكـــلّ نـــضالِ(١)

فجَمع بين الكناية المستفادة من التراث (لان الحديد) و(بليغ سكوته)، وبين ما قدّمه من عند نفسه...

* * *

(١٣)

وفي عدد واحد من صحيفة يومية من خلال بعض الأخبار والمقالات والتعليقات رصدتُ عددًا من الكنايات، مثلًا:

- اجتمع طرفا المباحثات على **مائدة مُستديرة.**

- وقد استُقْبِلَ الزّائر الكبير، **وفُرشت الأرض بالسجاد الأحمر.**

- **اخترقت الطائرةُ في الاحتفال حاجز الصَّوت.**

- وفلانٌ سياسي بارع **يحتفظ دائمًا بخطّ الرجعة.**

---

(١) مدره قومه: المدافع عنهم.

- ونحن حين نذكر تواضع فلان نَتذكر أن السّنبلة الفارغة هي التي **تطولُ، وتزهو على سائر السّنابل الملأى بالحبّ...** وتتباهى!

- ..وقد نظم الحفلة المدرسية الختامية (بمناسبة انتهاء العام الدراسي **فتيات في عمر الزهور...**

(١٤)

خاتمة

فنّ الكناية -إذن -هو واحد من أدوات التصوير والتعبير، وهو أَخُو فن التشبيه، وفن الاستعارة، وهو نوع من مَجاز القول...

وعناصر علم البيان هذه: المجاز: وفروعه من التشبيه والاستعارة والكناية وما يتفرّع عن الكناية هي عناصر أساسية في العمل الأدبي فإنها تغطّي جانب (الخيال) من عناصر الأدب الأساسيّة كما هو معلوم.

ولكل عنصر من هذه العَناصر خصائصه وجماليّاته... والأمر راجع دائمًا إلى المتكلّم أو الكاتب الناظم... فهو الذي يختار ما يسوقُه من الصّور والأخيلة وهو يعالج مقاصده ومعانيه. لاحظ مثلًا قول المتنبي وهو يشكر سيف الدولة الحَمْداني على مكافآته عن شعره:

تركتُ السُّرى خلفي لمن قلّ مالُه

وأَنْعَلْتُ أَفراسي بنعماك عَسْجَدا(١)

يقول إن سيف الدولة كفاه مؤونة السفر لطلب الرزق.. وكنى عن ذلك بعبارة (تركت السُّرى خلفي)، ثم زاد وبالغ وأتى بكناية جديدة: لقد جعل حدوة حصانه من الذهب لكثرة ما فاض عنده من المال... وفي هذه الكناية مكايدةٌ لخصومه، وزَهْوٌ بمكانته عند سيف الدَّولة، ومكانته في الشعر.

وتقرأ في ديوان الشاعر القروي من قصيدة له عنوانها (وقفة على الشاطئ) يوازن بين هواء المغترب الذي يعيش فيه وبين جَوّ بلاده (بلاد الشام - لبنان) قال:

يا نسيم المحيط ما هكذا في

سَاحِل البَحْرِ عندنا الأَنْسامُ

أنتَ إن زَرْتَ في المنام صحيحًا

غلغلت في عظامِه الأَسقامُ

(١) العسجد: الذهب الخالص.

لستَ ذاك الذي عَهِدْتُ يفوح الشّـ...

...ـــيحُ إنْ جَـــرَّ ذَيْلَـــهُ والـــثُّمَامُ

ذاك أزكـــى شَـــمًّا وألطــف ضـــمًّا

ذاك تـــشفى بلمـــسِه الأجـــسامُ!

فقد كنى عن نسيم بلاده العربية بأنه تفوح منه روائح الشِّيح والثُّمام، وهما من نباتات البوادي العربيّة. وكان القروي قد قال في مناسبة القصيدة: إنه كان في ثغر (باراناغوا) يتمشى على شاطئ البحر فهاج به الوجْدُ إلى ساحل لبنان...

.. لقد بيّن في الكناية أُمورًا تجتمع لتدل على شوقه لبلاده، وارتباطه بذكرياته هناك، وجعل الشيح والثمام[1] مَدْخلًا إلى توضيح فكرته وإعطائها بُعْدًا مكانيًا وموضوعيًّا...

ونقول - بعد هذا - إن أسلوب الكاتب والشاعر، وغيرهما ممّن يسجّل أَو يعالج أو يناقش هو جزء من شخصيته، ثم تجيء

(١) الشّيح: نَبْتٌ كثير الأنواع، رائحته طيّبة قوية...
والثّمام: نبت من الفصيلة النجيليّة، واحدته ثمامة.
- الشعر في ديوانه ١: ٣١٨.

ثقافته، ورؤاه، وصنعته الفنيّة، لتقدّم إبداعاته، بالتعبير المباشر حين يكون ذلك كافيًا، مقنعًا له، أو بالتعبير غير المباشر، مستفيدًا من عناصر الخيال المختلفة، وفيها الكناية...

وتجتمع عناصر الأدب عند صاحب النّص، على منهجه واختياره ورؤاه وذوقه الفني لتقدم ذلك في (أداء) هو في الحقيقة أسلوبه الذي اختاره، واستقر عليه، وصار علامة تدل على شخصيّته ونتاجه.

نلاحظ إذن الفرق بين قوله: خرجت مبكّرًا إلى مقصدي، وقد أدّى المعنى المراد مباشرة، وبين قوله: أغتدي صباحًا قبل أن تطير الطيور من أعشاشها، فقد جاء بالمعنى المطلوب، وزاد عليه هذه الصُّورة الحركية، ونبه القارئ إلى المعنى المراد بطريق غير مباشر، وحسّن اللفظ ولوّن الكلام.

* * *

د. محمَّد رضوان أحمد الداية

- ولد في مدينة دوما ١٩٣٨م.

- دكتوراه في الأدب الأندلسيّ من جامعة القاهرة ١٩٦٨م.

- أستاذ الأدب الأندلسيّ والمغربيّ في جامعة دمشق وغيرها من الجامعات العربيّة.

– له جملة من التّآليف والتحقيقات تربو على سبعين كتاباً، منها: «في الأدب الأندلسيّ»، «وتاريخ النقد الأدبيّ في الأندلس»، و«الحماسة المغربيَّة لأبي العبَّاس الجراويّ»، وسواها.

- حائز جائزة التفوق – القاهرة ١٩٦١.

- حائز جائزة الكويت للتقدّم العلْميّ «الفنون والآداب».

- حائز جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع لقصّة الطِّفل العربيِّ.

- له جملة من البحوث والدّراسات في مجلّات علْميّة محكَّمة.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧م

كلمة الغلاف

فن الكناية قديمٌ في النّصوص الأدبيّة العربيّة، وهو جانب من جوانب أدوات التّصوير في الكلام؛ وهو من وراء ذلك وسيلة من وسائل أَداء المعاني، وتوصيل الأفكار، بين المتكلم والكاتب من جهة، وبين المتلقي قارئًا أو مستمعًا من جهة أُخرى.

وفي العصر الحديث مع كثرة الأدباء والكتاب والشعراء ومع تفاعل الناس مع الجديد الطارئ من معطيات الحَضارة ووسائل العيش وحركة الحياة المعاصرة: ظهرَ في الكلام المنظوم والمَنْثُور: مع كل كاتب وشاعر ومتحدّث، أنماط من فن الكناية يشارك فنون البيان الأخرى، ويلوّن النتاج المُعاصر، ويلوّن الأساليب في شعر ونثر معًا.